كتاب الشروق
-١-

أوسكار وايلد

@ketab_n
Follow Me
26.4.2017

سمفونية البحر

ترجمة عمار يوسف

مكتبة الشروق

أوسكار وايلد

ترجمة
عمار يوسف

Twitter: @ketab_n

كل مساء ، اعتاد الصياد الشاب أن يخرج الى البحر ، ويرمي بشباكه في الماء .

حين تهب الريح من اليابسة ، لم يكن ليصطاد شيئاً الا القليل في أحسن الاحوال ؛ اذ كانت تلك الريح مريرة سوداء الجناحين ، وكانت الامواج الهائجة تثب لملاقاتها .

لكن ، حين تهب الريح من البحر ، فإن الاسماك تأتي سابحة من الاعماق وتلج من ثقوب شباكه ، فيأخذها ويبيعها في السوق .

كل مساء ، اعتاد أن يخرج الى البحر .

وذات مساء ، أحس بشبكته ثقيلة جداً ، فلم يقدر الا بصعوبة وجهد أن يسحبها الى داخل قاربه ؛ وضحك وهو يقول لنفسه :ـ « من المؤكد انني اصطدت كل الاسماك التي تسبح في البحر ، او ربما أوقعت في المصيدة وحشاً مخيفاً سيكون

Twitter: @ketab_n

اعجوبة للرجال الـذين يرونـه ، أو شـيئاً يثـير الرعب ، يسر الملكة العظيمة أن تقتنيه ·

باذلا كل قواه ، ظل يجذب الحبال الخشنة بعنف حتى انتفخت عروق ذراعيه وبدت كأنهـا خطوط طلاء زرقاء حول زهرية من البرونز !

ثم ظهرت الحبال النحيفة فجذبها بعنف ·· رويدا رويدا بدت دائرة الفلين المسطحة ، وطفت الشـبكة أخيرا على سطح الماء ·

ما كان هناك سمك قط ولا وحش ولا شيء مرعب ؛ لم تكن هناك الا حورية صغيرة راقـدة مستغرقة في النوم ! ·

شعرها كأنه كتلة ذهب مبللة ؛ وكل شـعرة كأنها خيط من الذهب النقي في كأس من الزجاج !· جسدها كأنـه العـاج الابيض ، وذيلها من اللؤلؤ والفضـة · من الفضـة واللؤلؤ كان ذيلها وقد التفت

Twitter: @ketab_n

عليه أعشاب البحر الخضراء ! ·

كأصداف البحر أذناها ، وكالمرجان الاحمر شفتاها !

بنهديها الباردين كانت ترتطم الامواج الباردة ؛ وفوق جفنيها التمعت دقائق الملح · جميلة جميلة كانت ، حتى ان صياد السمك الشاب حين رآها مُليء دهشة وعجباً · ومد يده وسحب الشبكة قريباً اليه · وانحنى عليها وطوقها بكلتا ذراعيه ·

وحين لمسها صرخت كأنها نورس خائف فزع ، واستيقظت وتطلعت اليه مرعوبة بعينين كأنهما من حجر الجمشت[1] بنفسجيتين زاهيتين ·

وجاهدت كي تتملص منه ! لكنه شدها اليه وحملها ليمنعها من الهرب · وحين تيقنت أن لا مهرب منه بكت وقالت :ـ « اتوسل اليك أن

---

(١) الجمشت : حجر كريم بنفسجي اللون(المترجم)·

Twitter: @ketab_n

تدعني أذهب لانني الابنة الوحيدة للملك وأبي عجوز ووحيد » ٠

لكن صياد السمك الشاب أجابها :ـ « لن أدعك تذهبين الا اذا وعدتني أن تأتي وتغني لي ، وفي أي وقت أشاء ، لان الاسماك يسرها أن تستمع لاغنيات سكان البحر وستملأ بذلك شباكي » ٠

صاحت الحورية :ـ « اعطيك موثقاً أن أدعك تذهبين » ٠

وهكذا أعطته الوعد الذي رغب ، وأقسمت على ذلك باليمين الذي يقسم به سكان البحر ٠ فارخى الصياد ذراعيه عنها فانقلبت غائصة في الماء ، وهي ترتجف من خوف غريب ٠

● ● ●

كل صباح ، اعتاد صياد السمك الشاب أن يخرج الى البحر وينادي على الحورية ، فتخرج

Twitter: @ketab_n

اليه صاعدة من الماء وتشرع بالغناء .

واذ تمضي في الغناء ، فان الدولفينات تأتي سابحة وتتجمع من حولها ، وفوق رأسها تحوم النوارس البحرية .

وغنت الحورية أغان عجيبة ؛ عن سكان البحر الذين يسوقون قطعانهم من كهف الى كهف وعلى اكتافهم يحملون صغار العجول ؛ وتغنت بالتريتونات[٢] ذوي اللحى الخضراء والصدور المشعرة ؛ الذين ينفخون في المحارات الملتوية حين يمر الملك ؛ وتغنت بقصر الملك المبني من العنبر بسقوف من الزمرد النقي وأرضية من اللؤلؤ البراق ؛ وبحدائق البحر تغنت ، حيث المراوح العظيمة للمرجان لا تفتأ تتموج طوال اليوم ،

---

(٢) التريتون : نصف إله من انصاف آلهة البحر عند الاغريق له جسم رجل وذيل سمكة .

Twitter: @ketab_n

والاسماك تمرق هنا وهناك كانها طيور فضية الالوان ، والشقائق البحرية ملتصقة بالصخور ، والبراعم القرنفلية في مساحات مضلعة من الرمال الصفراء ؛ وتغنت الحورية بالحيتان الكبيرة التي تأتي من البحار الشمالية وقد تعلقت بزعانفها كتل حادة من الجليد ؛ وتغنت بجنيات البحر اللواتي يروين العجائب فيضطر التجار أن يسدوا آذانهم بالشمع لئلا يسمعهونهن فيثبون الى البحر فيغرقون ؛ وتغنت بالقوارب الغارقة ، بسارياتها الطوال والبحارة المتجمدين وقد التصقوا بالحبال ، وسمك الاسقمري[٣] يروح ويجيء خلال الكوى ؛ وتغنت بالبرنقيلات[٤] الصغيرات ، تلك المسافرات الشهيرات ، اللواتي يعلقن بهياكل السفن ، وحول

---

(٣) نوع من أنواع السمك البحري .
(٤) البرنقيلات : حيوانات بحرية بشرية من رتبة هدّابيات الارجل .

Twitter: @ketab_n

العالم يظللن طائفات !؛ وتغنت بالحبار[٥] الـذي يعيش في الجرف ، والى الخارج يمد اذرعه الطويلة السوداء ، ويستطيع أن يجعل المساء يأتي حينما يريد ؛ وتغنت بالنوتي الذي يمتلك قارباً منحوتاً من الاوبال ، ويوجه بشـراع مـن حـرير ؛ وتغنت بالفرانيق السعداء ، الذين يعزفون على القيثارات ، ويستطيعون أن يسحروا الوحش العظيم فيخلد الى النوم ؛ وتغنت بالاطفال الصغار ، الذين يقبضون على الدولفينات الزلقة ويمتطون ظهورها ضاحكين ؛ وتغنت بحوريات البحر ، مستلقيات في زبد أبيض ، ملوحات بأذرعهن للبحارة والملاحين ؛ وبأسود البحر تغنت وأنيابها المقوسة ، وتغنت بأفراس البحـر وأعرافها المسطحة .

● ● ●

---

(٥) الحبار : حيوان بحري هلامي .

Twitter: @ketab_n

واذ كانت تغني ، كانت أسماك التوني تأتي جميعاً من الاعماق لتصغي اليها فيلقي الصيـــاد الشباب شباكه حولها ويصيدها ، وما عداه يصيده بحربتـــه .

وحينما يكون قاربه قد حُمِّل جيداً ، تكون الحورية وهي تبسم له قد غاصت في البحـــر !

وفي اثناء ذلك كله ، لم تكن لتقترب منه خوفاً ان يمسها . وكثيرا ما ناداها وتوسل اليها من غير جـدوى .

وفي كل مرة حاول أن يقبض عليها ، كانت تغوص كقطعة في الماء ، ولا يعود يراها طوال اليوم .

وفي كل يوم يمضي ، كان صـوتها يزداد في سمعه حلاوة وعذوبة . وانسته عـذوبة صـوتها شباكه وحذقه ، ولم يعد يلقي بالا الى الصيد .

بأذناب قرمزية ، وعيون مرصعة بالذهب ؛

Twitter: @ketab_n

اسراباً تروح اسماك التن وتجيء ؛ لكنه لم يكن يلتفت اليها ٠

الى جانبه رقدت حربته مهملة ! ، وفارغة باتت سلاله المجدولة من الصفصاف ٠

بشفتين منفرجتين ، وعينين معتمتين دهشة وعجباً ، جلس الصياد عاطلا في قاربه واصغى ٠

ويظل هكذا مصغياً حتى يزحف ضباب البحر حوله ، ويصبغ القمر الهائم بالفضة اطرافه البنية ٠

وذات مساء نادى عليها وقال :ـ « ايتها الحورية الصغيرة ، يا حوريتي الصغيرة : احبك!٠٠ خذيني لك عريساً فأني احبك » ٠

لكن حورية البحر هزت رأسها واجابت :ـ « ان لك روحاً بشرية ، فلو ابعدتها عنك فعند ذاك أستطيع ان احبك ! » ٠

قال الصياد الشاب يحدث نفسه :ـ « ما نفع

Twitter: @ketab_n

روحي لي ؟ فاني لا أراها ولا المسها ولا اعرفها ! بالتأكيد سوف ابعدها عني ، وسوف اكون اكثر بهجة وسروراً .

ومن شفتيه انطلقت صيحة ممتعة وسعادة . واقفاً على قدميه في قاربه المطليّ ، مد الصياد ذراعيه الى الحورية وصاح :

ـ « سأطرد روحي ، وستكونين عروستي ، وسأكون عريسك ، وسنسكن سوياً في عمق البحر ، وسوف تُريني كلّ الاشياء التي تغنيت بها ، وسأفعل كل ما ترغبين ، ولن نفترق ! » .

وضحكت الحورية الصغيرة من فرط سعادتها ، وأخفت وجهها في يديها .

وصاح صياد السمك الشاب :ـ « لكن ، كيف سأبعد روحي عني ؟ أشيري عليّ وانظري فعلي ! » .

Twitter: @ketab_n

قالت الحورية الصغير : « اني لا أعـــرف وآسفاه ، فسكان البحر ليست لهم أرواح ! » . وغاصت الى الاعماق وهي تتطلع اليه بلهفة وكآبة .

● ● ●

في بكرة الصباح التالي ، وقبل أن تـرتفع الشمس مسافة شبر فوق التل ، ذهب الصياد الشاب الى بيت الكاهن وطرق ثلاث طرقات عـلى الباب . تطلع راهب حدث من الكوة وحين ابصر بالصياد سحب سقاطة الباب وقال له : ادخل .

مرق الصياد الشاب الى الداخل ، وجثا على ركبتيه فوق الارضية التي تفوح منها رائحة عذبة ، ونادى على الكاهن الذي كان يقرأ في الكتاب المقدس قائـلا :

ـ « أبي ، أنـا عالـق بواحـدة من سـكان البحر ؛ وروحي تعوقني من امتلاك رغبتي . أخبرني

Twitter: @ketab_n

كيف أستطيع أن أبعد روحي عني ، لانني حقاً لست بحاجة اليها · ماذا تساوي روحي عندي ؟ · انني لا أستطيع أن أراها أو المسها أو أعرفها » ·

وضرب الكاهن بقبضته على صدره وأجاب :ـ « انك لمجنون أو ربما أكلت من عشب سام ، لان الروح هي أنبل جزء في الرجل ، وقد مُنحت لنا من قبل الرب كي نستخدمها بنبل · ليس هناك شيء أثمن من الروح البشرية ، لا ولا أي شيء ارضي يمكن أن يوزن واياها · انها تساوي ذهب العالم كله · وهي أثمن من ياقوت الملوك · وهكذا يا ولدي ! لا تفكر في هذه القضية أكثر مما فكرت ، لان تلك خطيئة ربما لن تغفر لك ·

سكان البحر ضالون ، ومن معهم يتعاملون · انهم وحوش الحقل التي لا تعرف الخير من الشر ، ولا تقدر فضل الاله » ·

Twitter: @ketab_n

وامتلأت بالدموع عينا الصياد الشاب

اذ سمع كلمات الراهب المريرة فوقف وقال :

« أبي ... آلهة الغابات تسكن سعيدة في الغابات . وعلى الصخور تجلس الفرانيق[٦] وهي تعزف على قيثاراتها الذهبية . دعني أكن مثلهم .. أتوسل اليك ، فان أيامهم مثل أيام الزهور . وما نفع روحي لي ؟ .. ما نفعها ان وقفت بيني وبين من أحب ؟ » .

صاح الكاهن وقد قطّب ما بين حاجبيه :ـ « خطيئة حب الجسد ؛ وخطيئة وثر الاوثان الموجودة في عالم الاله ... ملعون إله الغابات ... وملعونون مغنو البحر ؛ لقد سمعتهم في احدى الليالي . وجربوا أن يغروني لاترك تسبيحي ... قرعوا الشباك وضحكوا .. في اذني همسوا حكاية متعهم الخطرة ... أغووني بشتى الغوايات ، و'ذ

(٦) الفرانيق : أحد آلهة الحقول والقطعان عند الرومان .

Twitter: @ketab_n

كنت الجأ الى الصلاة ، كانوا يسخرون مني ...
انهم لضالون .. خذ عني .. انهم لضالون !
وعندهم ليس ثمة جنة أو نار .. ولن يمجدوا اسم
الاله في يوم من الايام » .

صاح صياد السمك الشاب :ـ « ابي ...
لقد اصطدت في شبكتي ابنة ملك .. انها أجمل
من نجمة الصباح ، وأنصع بياضاً من القمر !
أجب طلبي ودعني أذهب بسلام » .

صرخ الكاهن : « بعيدا .. بعيدا
ضالّة خليلتك ، ولسوف تنال معها » .
ولم يباركه بل أبعده عن الباب .

ثم ان الصياد الشاب هبط الى السوق ،
وراح يتمشى على مهل مطاطيء الراس كرجل حزين .

وتهامس التجار حين راوه قادماً ، وجاء
احدهم ودعاه باسمه وناداه قائلا : « ماذا عندك
للبيع ؟ » .

Twitter: @ketab_n

أجاب الصياد الشاب : « روحي » ....
توسل اليك ان تشتريها فاني برم بها .

ما نفعها لي ؟ فلست بقادر ان اراها او المسها او اعرفها ! .

لكن التجار سخروا منه وقالوا :ـ « ما نفع روح رجل لنا ؟ .. فهي لا تساوي قطعة صغيرة من الفضة .. بعنا جسدك فنتخذك عبداً ، ونلبسك الملابس الفاخرة ، وفي اصبعك نضع خاتماً ، ثم نصيّرك خادماً للملكة العظمى ؛ واياك ان تتحدث اكثر مما تحدثت عن الروح ، فهي عندنا لا تساوي شيئاً ، لا ولا حتى عند خدمنا ! » .

وحدث الصياد الشاب نفسه : « اي امر غريب هذا ؟ الكاهن اخبرني ان الروح اثمن من ذهب العالم كله ، وهؤلاء التجار يقولون انها لا تساوي قطعة فضية صغيرة ! » .

Twitter: @ketab_n

ثم خرج مسرعاً من السوق ، وهبط الى ساحل البحر ، وطفق يتأمل فيما ينبغي عليه ان يعمله .

وفي المساء تذكر الصياد الشاب أحد رفاقه وكان جامعاً للجواهر ، واخبره صديقه ذاك عن ساحرة شابة تعيش في كهف عند راس الخليج مشهورة بمهارتها بين الساحرات .

وانطلق الصياد اليها راكضاً ، متلهفاً على التحرر من روحه ، وفي اثره سحابة من غبار ! ...

عرفت الساحرة الشابة بقدوم الصياد بحكها لكفها فضحكت وحلت شعرها وتركته ينهمر فوق كتفيها ؛ ثم وقفت وشعرها الاحمر منثور في فم الكهف ، وفي يدها غصن مزهر من الشوكران[٧] .

---

(٧) الشوكران : نبات يستخرج من ثمره شراب سام .

Twitter: @ketab_n

واذ رأته أقبل لاهثـاً وانحنى أمامهـا ، صاحت :

« ما الذي تحتاجه ؟ ما الذي تحتـاج ؟ .. اسمك" يملأ شباكك ، حين تكون الريح عاصفة ؟

لدي مزمار صغير ما ان أنفخ فيه حتى يهرع سمك البوري سابحاً نحو الخليج .

لكن لذلك ثمناً ، يا فتاي اللطيف ، ان لذلك ثمنـاً !

ما الذي تحتاجه ؟ ما الذي تحتاج ؟

اعاصفة ؟ . تحطـم السفن ، وتجـرف الى الى ساحل البحر خـزائن التجـار . عنـدي مـن العواصف اكثر مما لدى الريح ! ، اذ اني أخدم من هو أقوى منها .

وبمنخل وبدلو من المـاء أرسـل المراكب العظيمة الى قاع البحر !

Twitter: @ketab_n

لكن ، أريد لذلك ثمناً ، يا فتاي اللطيف ، اريد ثمناً !

ما الذي تحتاجه ؟ ما الذي تحتاج ؟

في الوادي ، أعرف زهرة ، لا يعرفها أحد سواي ! ، ارجوانية أوراقها ، وفي قلبها ترقد نجمة ، وأبيض عصيرها كالحليب .

ان جعلت تلك الزهرة تلامس من الملكة شفتيها القاسيتين ، فستتبعك في هذا العالم انى سرت ! ، ستنهض من سرير الملك وانى سرت تسير ! .

ان لذلك ثمناً ، يا فتاي اللطيف ، ان لذلك ثمناً !

ما الذي تحتاجه ؟ ما الذي تحتاج ؟

في هاون ، استطيع ان اسحق علجوماً[٨] واصنع منه حساء ، ثم أخلط ذلك الحساء وكف رجل

---

(٨) علجوم : ضفدع

Twitter: @ketab_n

ميت ، فاذا رششت به عدوك حين يكون نائماً انقلب افعى صغيرة تذبحها امه .

بعجلة استطيع أن أسحب القمر من السماء !، وان اريك الموت في اناء من البلور !

ما الذي تحتاجه ؟ ما الذي تحتاج ؟

افصح لي عن رغبتك فأمنحك اياها .

وستدفع لي ثمناً ، يا فتاي اللطيف ، ستدفع لي ثمناً ! » .

قال صياد السمك الشاب :

« ان رغبتي ليست الا شيئاً بسيطاً . فقبل قليل غضب الكاهن مني وطردني بعيدا عنه .. انها ليست إلا شيئاً بسيطاً ، والتجار هزئوا بي وانكروني . ولذا جئت اليك رغم ان الرجال يسيئون بالشر ، ومهما يكن ما تطلبين فسأدفع لك ؟ » .

Twitter: @ketab_n

اقتربت الساحرة منه وسألته :ـ« مـــاذا تريد ؟ » .

أجاب صياد السمك الشاب :ـ « أريد أن أطرد روحي عني » .

شحبت الساحرة وارتعدت وأخفت وجهها في عباءتها الزرقاء وغمغمت :ـ

ـ « فتاي اللطيف ، يا فتاي اللطيف ، انـه لشيء فظيع أن تطلب هذا ! » .

قذف الصياد خصلات شعره البنيّة الى الوراء وضحك وهو يقول :

« ليست روحي بشتيء عندي ، فأني لا أقدر أن أراها أو المسها أو أعرفها ! » .

ـ « وما تعطيني ان انـا اخبـرتك ؟ » ... سألته الساحرة وهي تتطلع اليه بعينيها الجميلتين .

قـال الصياد :ـ « خمس قطـع ذهبيـــة

Twitter: @ketab_n

وشباكي ، وبيتي المجدول من الاغصان الذي اسكن فيه ، وقاربي المصبوغ الذي ابحر فيه ؛ اخبريني كيف اتحرر من روحي فحسب ، وسأعطيك كل ما أملك » .

وضحكت ساخرة منه وضربته بغصن الشوكران واجابت :

« انا استطيع ان احول اوراق الخريف ذهباً ! ومن اشعة القمر الشاحبة احوك فضة ان اردت ! الذي اخدمه اغنى من ملوك العالم جميعاً ، وله ما لهم من بأس وقوة وسلطان » .

صاح الصياد :ـ « ماذا سأعطيك اذن ؟ ان لم يكن الثمن الذي تطلبين فضة او ذهباً ؟ » .

بيدها النحيفة البيضاء ربتت الساحرة على شعرها وغمغمت مبتسمة في وجه الصياد :ـ « عليك ان ترقص معي يا فتاي اللطيف ! » .

Twitter: @ketab_n

أجاب :ـ « لا شيء سوى ذاك ؟! » .
فابتسمت الساحرة له مرة اخرى .

وقال الصياد :ـ « اذن سنرقص معاً في مكانٍ سري عند الغروب ، وبعد أن ننتهي من الرقص ستخبريني عما أود معرفته » .

هزت الساحرة راسها وغمغمت :ـ « حين يكتمل القمر .. حين يكتمل القمر » ... وتلفتت وراحت تحدق فيما حولها وتتنصت . وفي أثناء ذلك اندفع طير ازرق من عشه زاعقاً وراح يحوم فوق كثبان الرمال ، وصفرت ثلاثة طيور منتظة لبعضها وسمع حفيفها ناعماً خلال العشب الاشهب الخشن ، ولم يكن هناك صوت سوى صوت الموج وهو ما يفتأ ينحت في الحصى الناعم تحت .

ومدت الساحرة يدها وسحبته قريباً منها ، وقربت اذنه من شفتيها الجافتين وهمست :

Twitter: @ketab_n

« الليلة ... عليك أن تأتي الى قمة الجبل .. انه سيكون هناك ... » .

جفل صياد السمك الشاب متطلعا اليها فضحكت كاشفة عن أسنانها البيضاء ، وسألها : عمن تتحدثين ؟ » .

أجابت :ـ « لا يهم ... اذهب أنت الليلة وقف تحت شجرة الجوز وانتظر قدومي . ان جرى نحوك كلب أسود فاضربه بعصاً من الصفصاف ، فيولي بعيداً ؛ ان كلمتك بومة" فلا تجبها ، وسأوافيك حين يكون القمر قد اكتمل .. وعلى العشب سنرقص معاً » .

سألها الصياد :ـ « ولكن ، هل تحلفين أن تخبريني كيف سأطرد روحي ؟ » .

خطت الساحرة الى حيث الضوء ، وخلال شعرها الاحمر راحت تترقرق الريح .

Twitter: @ketab_n

اجابت : « بحوافر المعزى ، أقسم على ذلك ! » .

هتف صياد السمك الشاب : « انك لأفضل الساحرات ؛ ولسوف ارقص معك الليلة على قمة الجبل ... لوددت انك طلبت فضة او ذهباً .. لكن .. بما أن الثمن هو ذاك فلك ما طلبت ، فهو ليس الا شيئاً بسيطاً » .

ورفع قبعته وانحنى لها ، ثم عاد الى المدينة يجري وقد تملكته متعة عظيمة . وراقبته الساحرة وهو يبتعد ، وحين غاب عن نظرها ، دخلت الى الكهف وتناولت مرآة من صندوق منحوت من خشب الارز ، ونصبتها فوق هيكل ، ثم احرقت امامها نبتة رعي الحمام(٩) ، وفي حلقات الدخان راحت تنعم النظر ، فلم تلبث حتى تمتمت وهي

---

(٩) رعي الحمام : نبات زهرة مختلف الالوان .

Twitter: @ketab_n

تلوح بقبضتها غاضبة :ـ « سيكون لي ، فاني جميلة مثلها » .

تحت قدميه ، رقد البحر كترس من معدن مصقول ... وفي الخليج الصغير كانت قوارب لصيد تنتقل كأنها الظلال .

وناداته باسمه بومة ضخمة ، عيناها في صفرة الكبريت ، لكنه لم يجبها . وجرى نحوه كلب أسود وزمجر ، فضربه بعصاً من الصفصاف ، فابتعد عنه راكضاً وهو يئن .

وفي منتصف الليل جاءت الساحرات الخفافيش يسبحن في الهواء ؛ وكن يصرخن حين يحططن على الارض : « فيو » ، ثم رُحن يتشممن حولهن ويوسوسن ويثرثرن ويرسمن العلامات ويتهامسن قائلات :ـ « ثمة شخص لا نعرفه هنا » .

Twitter: @ketab_n

أخيرا ... وفي أعقابهن جاءت الساحرة الشابة وشعرها الاحمر يخفق في الريح ، وكانت تلبس ثوباً من نسيج الذهب مطرزا بعيون الطواويس ، وفوق رأسها قلنسوة من قطيفة خضراء . وحين رأينها صرخن : « أين هو ؟ ... أين ؟ » .

لكنها ضحكت وجرت نحو الشجرة ، وأخذت بيد الصياد وقادته الى ضوء القمر وشرعت في الرقص .

مرة بعد اخرى دارا راقصين .

وهي ترقص ، كانت الساحرة الشابة تقفز عالياً ، فكان في استطاعته أن يرى كعبي حذائها المرمزيين !

وعلى حين غرّة ، سُمع بين الراقصين صوت حصان يعدو ، ولم يكن ثمة حصان ، فشعر

Twitter: @ketab_n

الصياد بالخوف . وصرخت الساحرة بالصياد : « اسرع » ؛ وألقت بذراعيها حول رقبته ، ولفحت أنفاسها وجهه وهي ما تفتأ تصرخ : « اسرع .. اسرع » .

وبدت الارض كأنها تدور تحت قدميه ، واختلط عليه الامر ، وتملكه رعب عظيم كأنه كان مراقباً من قبل خبيث شرير .

أخيرا . تملكه هاجس أن تحت ظل الصخرة شخص لم يكن من قبل هناك . كان ذلك الشخص رجلا يرتدي حلة من قطيفة سوداء أسبانية الطراز ؛ وكان وجهه شاحباً بشكل غريب ، لكن شفتيه كأنها زهرة متعالية حمراء ! .

وبدا الرجل المتكيء قلقاً وهو يعبث بفتور بخنجره .

وعلى العشب بجانبه رقدت قبعة مزينة

Twitter: @ketab_n

بالريش ، وزوج من قفازات خيالة مطرزة بدانتيلا مطلية بالذهب ، مزينة بحبات اللؤلؤ وقد صنعت باسلوب غريب .

ومن فوق كتفيه تدلى رداء قصير مبطن بالفراء ، وزينت أصابع يديه البيضاوين الناعمتين بالخواتيم . وفوق عينيه انحنى جفنان غليظان .

بقي الصياد يراقب الرجل كالمسحور واخيرا التقت عيناهما ، وبدا للصياد أن عيني الرجل تتبعانه أنى رقص ؛ وسمع الساحرة تضحك تقبض على معصمها وظل يدور بها بجنون .

وفجأة ، نبح كلب في الغابة ، فتوقف الراقصون وذهبوا أزواجاً الى حيث يجلس الرجل وجثوا على ركبهم وقبلوا يديه . وإذ فعلوا ذلك ، وشت شفتاه المتكبرتان بابتسامة كما لو ان جناح طائر مس الماء فأضحكه ! .

Twitter: @ketab_n

لكن ، من تلك الابتسامة ، كان يطل التكبر والازدراء وما فتأ ذلك الرجل متطلعاً الى صياد السمك الشاب .

همست الساحرة في اذن الصياد : « تعال ... ستعبد ! » ؛ ثم قادته صاعدة به وقد سيطرت عليه رغبة عظيمة ان يفعل ما التمست منه ... وتبعها .

ولكنه حين صار على مقربة من الرجل ، ذكر اسم الربّ واستعاذ من الشيطان من غير ان يعرف لم فعل ذلك .

وما ان فعل ذلك حتى صرخت الساحرات كأنهن الصقور وطرن بعيدا ... واختلج الوجه الشاحب الذي كان يراقبه من الالم .

الى الغابة الصغيرة أسرع ذلك الرجل وصفر . فجاء اليه يخبّ اتان ذو جل فضي . واذ قفز فوق صهوته استدار وتطلع بحزن الى صياد السمك الشاب .

Twitter: @ketab_n

وحاولت الساحرة ، ذات الشعر الاحمر ، أن تطير بعيدا هي الاخرى . لكن الصياد أمسك بها من معصميها وقبض عليها بقوة ، فصاحت :

« أطلقني ودعني أذهب ، فلقد ذكرت الاسم الذي كان عليهما الا تذكرة ! » . أجاب : « كلا . بل لا ادعك تذهبين حتى تخبريني بالسر » .

ـ « أي سر ؟ » .... قالت الساحرة الشابة وهي تجهد أن تخلص نفسها ، وتعض كآبة برّية على شفتيها المزبدتين .

أجاب : « إنك تعرفين » .

وعتمت الدموع عينيها الخضراوين العشبيتين ، وقالت للصياد :ـ « أطلب أي شيء الا ذاك ! » .

فضحك وضمها بكل قوته اليه .

وحين رأت انها لن تستطيع أن تحرر نفسها

Twitter: @ketab_n

منه همست قائلة : « ألست جميلة كبنت البحر ، ووسيمة كاللواتي يعشن في المياه الزرقاء ؟! » .

وقربت وجهها من وجهه وراحت تتملقه وتتزلف اليه ؛ لكنه وخزها في ظهرها وعبس وقال :ـ « سأذبحك اذا لم تحافظي على وعدك الذي وعدت ، لأنك بذاك تكونين ساحرة كاذبة » .

فشحب وجهها وصار كزهرة الارجوان وارتجفت وهي تتمتم :ـ « ليكن ما تريد ، انها روحك وليست روحي ؛ افعل بها ما تشاء » .

ثم انها استلت من زنارها سكيناً صغيرة ذات مقبض من جلد حية اخضر ، وناولتها له .

فسألها الصياد مندهشاً : « بماذا ستخدمني هذه ؟ »

ولاذت بالصمت وقد زحف الرعب على وجهها .

Twitter: @ketab_n

بعد ذلك أزاحت شعرها بيدها عن جبهتها ، وعلت وجهها ابتسامة غريبة ، ثم قالت لـه :ـ « الـذي يدعوه الرجال ظـلاً للجسد ليس بظلّ الجسد ، لكنه جسد الروح ؛ قف على ساحل البحر وظهرك للقمر ، واقطع ظلك ، روح جسدك ، من اصل قدميك ، ثـم اامـر روحـك أن تتـركك ، وستفعل ما تريد . » .

ارتعد صياد السمك الشـاب وغمغـم :ـ « احق هذا ؟ » .

فصاحت وقد تعلقت بركبتيه تبكي :ـ « انه لحق ... لوددت اني لم اخبرك بذلك ! » . فابعدها عنه ، وذهب الى حافة الجبل مخلفاً اياها وراءه على العشب ، ووضع السكين في حـزامه وشرع يهبط الجبل ؛ ونادت عليه روحه التي كانت معه وقالت : « عجبا ، عشت معـك كل هـذه

Twitter: @ketab_n

السنين ، كنت خادمتك فيها فلا تطردني الآن ، فأي شر بحقك اقترفت يداي ؟ » .

فضحك صياد السمك الشاب وأجاب : « لم تفعلي معي شرا ... لكني لست بحاجة اليك ... العالم واسع ... هناك السماء كذلك والجحيم ، وذلك البيت الشفقي بينهما . اذهبي الى أي مكان ترغبين ، لكن لا تزعجيني أكثر من ذلك فأن حبيبتي تدعوني !! » .

وتضرعت روحه اليه بشكل يثير الرثاء ، لكنه لم يلق بالا اليها ، بل قفز واثق القدم كمعزى من صخرة الى صخرة حتى وصل الى الارض المنبسطة ورمال البحر الصفراء .

باطراف برونزية ، وجسد مشدود محبوك العضلات ، وقف على الرمل ، كتمثال يوناني ، وظهره للقمر .

Twitter: @ketab_n

من الزبد ، خرجت أذرع بيضاء ، وراحت تلوح له ؛ وارتفعت من الامواج أشباح معتمة ملأته رهبة وجلالا .

من أمامه ، انطرح ظله ، جسد الروح !

ومن خلفه ، كان القمر معلقاً في الهواء العسلي اللون !

وقالت روحه له : « ان لم يكن لك بدّ من طردي ، فلا تبعدني عنك محرومة من القلب ! العالم قاسٍ فامنحني قلبك اصطحبه معي » .

فهز الصياد رأسه وابتسم وصاح : « وبماذا أُحبّ حبيبتي ان أنا أعطيتك قلبي !؟ » .

قالت روحه : « أنا خائفة ، فكن رحيماً ؛ اعطني قلبك فان هذا العالم شديد القساوة ! » .

Twitter: @ketab_n

أجاب :ـ « قلبي هو حبي ، لذا لا تتلكأي ، بل اذهبي حالا » !

صاح صياد السمك الشاب : : « اذهبي فلست بحاجة اليك » .

ثم استل السكين الصغيرة ذات المقبض الجلدي الاخضر ، وقطع ظله من حول قدميه ، فارتفع كأنه الصياد نفسه ووقف أمامه .

فزحف الى الوراء ، وقد تملكه الرعب وغرز السكين في حزامه وغمغم : « اذهبي ، ولا تريني وجهك بعد الآن ! » .

قالت الروح :ـ « كلا ، بل ينبغي أن نتقابل ثانية ! » .

وكان صوتها خافتاً كصوت الناي ... وإذ تتكلم كانت شفتاها بالكاد تتحركان . صاح صياد السمك :ـ « كيف سنتقابل ؟ .. انك لن تتبعيني الى أعماق البحر ! » .

Twitter: @ketab_n

قالت الروح :ـ « مرة .. كل عام .. سأجيء الى هذا المكان وأنادي عليك ، فربما كنت في حاجة اليّ » .

صاح الصياد :ـ « ما الذي سوف أحتاجه منك ... لكن ، ليكن لك ما ترغبين » . وغاص في الماء ، فنفخت الترتونات في ابواقها ، وصعدت الحورية الصغيرة للقائه ، والقت بذراعيها حول رقبته وقبلته في فمه .

على الشاطيء المقفر ، وقفت الروح تراقبهما ... وحين غاصا الى الاعماق ، هامت على وجهها باكية فوق المستنقعات .

● ● ●

وحين مر عام ، جاءت الروح وهبطت الى ساحل البحر ونادت على الصياد ، فصعد اليها من الاعماق . وقال : « لم تنادين عليّ ؟ » .

Twitter: @ketab_n

أجابت : « اقترب مني حتى أحدثك ، فقد رأيت من الامور عجباً ! » .

فجاء يخوض في المياه الضحلة حتى اقترب منها ، واستند برأسه على راحة كفه واصغى .

وقالت الروح له :ـ « حين تركتك وجهت وجهي الى الشرق ، فمن الشرق يأتي كل شيء حكيم ! ... ستة أيام وأنا في سفر ؛ حتى اذا كان صباح اليوم السابع وصلت الى تل في بلد التتار ، وجلست استظل بشجرة الطرفاء ، واحمي نفسي من الشمس . وكانت الارض لاهبة تتلظى من شدة الحر ، والناس يزوحون ويجيئون فوق السهل كأنهم ديدان تزحف فوق صحيفة من نحاس لامع .

وحين حضر الظهر ارتفعت سحابة من غبار حمراء ، ما إن رآها التتار حتى علقوا أقواسهم

Twitter: @ketab_n

المصبوغة وقفزوا وهم يعدون الى ظهور جيادهم الصغيرة .

وهربت النسوة صارخات واخفين أنفسهن خلف ستائر من اللباد .

عند الغروب عاد التتار وقد فقدوا خمسة من رجالهم ؛ ومن الذين عادوا عدد" ليس بالقليل كان من الجرحى . ثم انهم ربطوا جيادهم الى العربات وقادوها بعيدا مسرعين .

وخرجت ثلاثة من بنات آوى . وحدّقن في اثرهم ، ثم تشممن الهواء بأنوفهن ، ورحن في الاتجاه المعاكس راكضات .

وحين ارتفع القمر في السماء ، شاهدت ناراً تلوح في السهل فاتجهت نحوها ، فألفيت صحبة" من التجار افترشت السجاد ، تتحلق حولها .

وخلفهم ربطت جمالهم ، وراح خدمهم

Twitter: @ketab_n

ينصبون خياماً من جلد مدبوغ فوق الرمال ؛ ومن أشجار الكمثرى الشوكية يصنعون سياجاً عالياً .

واذ اقتربت منهم ، هبّ كبير التجار واقفاً وسحب حسامه ، وسألني عن غرضي ، فأجبته بأني كنت أميراً في بلادي وقد هربت من التتار الذين ائتمروا أن يصيروني خادماً ؛ فابتسم كبير التجار وأراني خمسة رؤوس مثبتة الى خمس من قصبات الاسل الطوال . ثم أخذ بيدي وأجلسني الى جانبه ؛ وقدم لي خادم شيئاً من لبن فرسٍ وقطعةً من لحم حملٍ مشوي في صحفة خشبية .

في الفجر ، بدأنا رحلتنا وامتطيت الى جانب كبير التجار جملاً أحمر الشعر . وأمامنا كان يركض ، وحربة في يده ، عدّاء .

في الجهة الاخرى ، كان الفرسان ، وفي الاثر ، سارت البغال محملة بالبضائع . كان

Twitter: @ketab_n

هناك في القافلة أربعون جملاً ، وضعف هذا العدد من البغال .

وارتحلنا من بلد التتار الى بلد يلعن الناس فيه القمر . وهناك شاهدنا الفرقينات يحرسون الذهب على صخور بيضاء ، والتنينات نائمات في الكهوف .

وحين عبرنا الجبال حبسنا انفاسنا خشية من سقوط الثلج علينا . وعقد كل رجل حجاباً من الشاش على عينيه ؛ واذ مررنا خلال الوادي رمانا الاقزام من جوف الاشجار بالاقواس .

في الليل سمعنا الرجال المتوحشين وهم يدقون على الطبول ؛ وحين وصلنا الى قلعة القرود وضعنا أمامهم فاكهة فلم يصيبونا بأذى . وحين وصلنا الى قلعة الافاعي قدمنا لهم لبناً دافئاً في أوانٍ من النحاس ، فسمحوا لنا بالمرور .

Twitter: @ketab_n

ثلاث مـرات ، أثنـاء رحلتنـا ، اعترضتنا ضفاف نهر الاوكسوس ، فعبرناه برمثٍ خشبي محمول على أكياس من جلد منفوخ . وزمجـرت أفراس الماء في وجهنا وارادت أن تذبحنا ؛ وما أن راتها الجمال حتى ارتجفت من الخوف .

وكان ملوك المدن التي نمر بها يفرضون علينا رسوم المرور ، لكنهم لم يسمحوا لنا أن ندخل الى تلك المدن ، بل كانوا يرمون علينا من فوق الحيطان خبزا ، وقطعاً صغيرة من كيـك الـذرة المحمص بالعسـل ، وكيكاً مصنوعاً من الـدقيق المخلـوط بالتمر ؛ وكنا نعطيهم خرزة من الكهرمان لكل مائة سلة يمنحونها لنا ! .

وحين كان سكان القرى يبصروننا قادمين ، كانوا يسممون ميـاه الآبـار ويهـربون الى قمـم التـلال .

Twitter: @ketab_n

وتحاربنا مع الـ(مكيدي) ، الذين يولدون شيوخاً ، حتى اذا مرّت السنون عادوا اطفالا صغارا ! . وتحاربنا مع الـ (لاكتروي) ، الذين يدّعون أنهم أبناء النمور ، ويصبغون أجسادهم بالالوان الصفراء والسوداء . وقاتلنا الـ (أورينتس) الذين يدفنون موتاهم في قمم الاشجار ، ويعيشون في الكهوف المظلمة خوفاً أن تذبحهم الشمس ، إلههم الذي يعبدون .

وتحاربنا مع الـ (كريمنان) الذين يعبدون التمساح ويقدمون له الهدايا من العشب الاخضر ، ويطعمونه الزبدة والدجاج الطازج . وتحاربنا مع اناس لهم وجوه كلاب يُقال لهم الـ (أكزونابي) . وتحاربنا مع الـ (سيبانس) وكانت أقدامهم تشبه حوافر الخيل ويجرون أسرع منها بكثير ! .

Twitter: @ketab_n

وفي احدى المعارك قُتل ثلاثة ممن كانوا معنا ، ومات من الفاقة والعوز ثلاثة آخرون .

وتهامس الباقون ضدي وقالوا انني جلبت لهم النحس ، فأخذت من تحت حجر أفعىً ذات قرون وسمحت لها أن تلسعني ؛ وحين رأوا انني لم أُصب بشيء تملكهم الرعب والخوف .

في الشهر الرابع وصلنا الى مدينة يقال لها (أليل) ، ونزلنا في غيضة تقع خارج الاسوار ، وكان الهواء خانقاً ، اذ كان القمر يمر في برج العقرب آنذاك ! .

من الاشجار ، قطفنا الرمان وشربنا عصيره الحلو ؛ بعد ذلك رقدنا على السجاد وانتظرنا قدوم الفجر .

في الفجر نهضنا وطرقنا على بوابة المدينة ، وكانت من برونز أحمر ، منقوش عليها تنينات البحر

Twitter: @ketab_n

وتنينات مجنحة . تطلع الحراس الينا من فتحات السور ، وسألونا عن مهمتنا ، فأجابهم مترجم القافلة اننا قدمنا من جزيرة سوريّة ، محملين بالبضائع الكثيرة ، فأخذوا منا رهينة ، وأخبرونا انهم سيفتحون البوابة لنا عند الظهر . وطلبوا منا الانتظار حتى ذلك الحين .

وحين حلّ الظهر فتحوا البوابة لنا ، واذ دخلنا تجمهر الناس خارج بيوتهم ليلقوا نظرة علينا . وطاف منادٍ حول المدينة يصيح في صدفة كبيرة .

وقفنا في السوق ، وفكّ الخدم بآلات الاقمشة المزينة بالرسوم ، وفتحوا صناديق الجميز المحلاة بالنقوش ؛ وحين انتهوا من مهمتهم ، شرع التجار يعرضون بضائعهم الغريبة .... الكتان المشمع من مصر ، والكتان المصبوغ من أرض

Twitter: @ketab_n

الحبشة ؛ الاسفنج الارجواني من صور ، والستائر الزرقاء وأكواب من الكهرمان البارد ، وأوان جميلة من الزجاج واخرى غريبة من الطين المفخور .

ومن أسطح المنازل ، كانت النساء تراقبنا ، ولفتت نظري واحدة تضع على وجهها قناعاً من جلد مذهب .

في اليوم الاول ، جاء الكهنة وتقايضوا معنا ؛ وفي اليوم الثاني حضر النبلاء ، وفي اليوم الثالث جاء أصحاب المهن والعبيد . وتلك هي عادتهم المتبعة مع كل التجار ان هم تلبثوا في المدينة .

وانتظرنا بسبب القمر ؛ وحين دخل القمر في المحاق ، كنت ضجرا فهِمتُ على وجهي في الطرقات حتى جئت حديقة إله المدينة .

وهناك ، كان الكهنة بأرديتهم الصفراء

Twitter: @ketab_n

يتحركون بصمت خلال الاشجار الخضراء . وعلى رصيف من رخام اسود ، انتصب بيت أحمر اللون وردي هو بيت الاله . من مسحوق الورنيش صنعت أبوابه ، مزينة بثيران وطواويس من ذهب بارز برّاق ؛ أما سقوفه المائلة فصنعت من الخزف البحري الاخضر ! ، وزينت أفاريزه الناتئة بالاجراس الصغيرة التي ترن حين تضربها بأجنحتها الحمامات البيضاء !

وأمام المعبد ، كانت هناك بركة صافية من الماء وقد رصفت بالعقيق اليماني المعرّق . اضطجعت بجانبها ، وبأصابعي الشاحبة لمست الاوراق البارزة . وجاء احد الكهنة ووقف ورائي ، وكان ينتعل خفين احدهما من جلد الحية الناعم ، والآخر من ريش الطيور ؛ وقد لُفّ رأسه بمترٍ من اللباد الاسود مزخرفاً بأهلّةٍ فضية ؛ وفي ردائه

Twitter: @ketab_n

حيكت سبعة أهلة صفراء ، وبالأثمد دهن شعر رأسه المجعّد .

بعد برهة قصيرة تكلم اليّ ، مستفسرا عن رغبتي فأخبرته ان رغبتي هي رؤية الاله !

قال الكاهن وهو يتطع اليّ باستغراب بعينين صغيرتين مائلتين : « الاله في جولة صيد ! » .

أجبت :ـ « أخبرني في أيّ غابة فأكون معه » ! .

فتمتم وهو يستل بأظافره المدببة الهُدّاب الناعم من سترته الضيقة :

« الاله نائم ! » .

أجبت : « قل لي في أي سرير فأسهر بجانبه ! » .

فصاح :ـ « الاله في وليمة ! » .

وكان جوابي :ـ « ان كانت الخمرة حلوة

Twitter: @ketab_n

شربتها معه ، وان كانت مرّة شربتها معه ! » .

فأحنى راسه مندهشاً وأخذ بيدي وأصعدني، ثم قادني الى داخل المعبد . في القاعة الاولى ، شاهدت صنماً جالساً فوق عرش من حجر اليشب الكريم ، حفّ بلئاليء شرقية عظيمة ؛ وقد نحت ذلك الصنم على هيئة رجلٍ من خشب الابنوس .

في جبينه ياقوتة حمراء ، ومن شعر راسه يستّاقط دهن غليظ القوام على فخذيه ؛ قدماه محمرتان من دم حمل ذُبِحَ قبل قليل ؛ وقد تمنطق من وسطه بحزامٍ من نحاس رُصّع بسبعٍ من أحجار البِرْيل الاخضر الكريم ! .

فصرخت :ـ « أرني الاله والاّ ذبحتك » ؛ ولمست يده فارتدّت ذاوية ذابلة .

وتوسل الكاهن اليّ قائلا :ـ « ليشفي سيدي خادمه وسأريه الاله » .

Twitter: @ketab_n

فنفخت على يـده فعادت صحيحة سـواء ، فارتعد من الخوف وقادني الى القاعة الثانية .

وفي القاعة الثانية رايت صنماً منتصباً فوق ورقة لوتس مصنوعة من حجر اليشب الكريم ، معلقة بالزمرد العظيم ؛ وكان ذلك الصنم منحوتاً من العاج ، أضخم من هيئة الرجل العادي بمرتين ، مزيناً جبينه بالزبرجد ومدهوناً صدره بالتُرفة والمُر ؛ في احدى يديه صولجان من حجر اليشب ، وفي الاخرى كرة من البلور ، وقد لُفَّتْ رقبتـه الغليظة بطوق من المعدن .

فصرخت : « ارني الالـه والاّ ذبحتك » . ولمست عينيه فارتدّ اعمى .

وتوسل الكاهن اليّ قائـلا :ـ « ليُشفي سيدي خادمه ، وسأريه الاله » .

فنفخت على عينيه فارتدّ بصيراً ، وارتجف

Twitter: @ketab_n

ثانية وقادني الى القاعة ...

يا للعجب ... لم يكن هناك صنم ولا تمثال من أي نوع ؛ كانت هناك مرآة فحسب ، مرآة من معدن مستدير فوق هيكل من الجص !!

وقال لي الكاهن : « ليس في هذا المعبد سوى هذه المرآة التي تراها ، اذ هي مرآة الحكمة ؛ وهي تعكس كل ما على الارض او في السماء الا وجه الذي يتطلع فيها ، فمن فعل صار حكيماً .

هناك الكثير من المرايا ، لكنها مرايا الافكار ! ... اما هذه فهي مرآة الحكمة فحسب .. والذين يمتلكون هذه المرآة يعرفون كل شيء . ولا يخفى عليهم شيء والذين لا يملكونها ، لا يملكون من الحكمة شيئاً !...

وتطلعت في المرآة ، وكانت كما قال لي ! ... وجئت أمراً غريباً ... لكن .. ليس مهماً ما

Twitter: @ketab_n

فعلت ؛ وقد اخفيت المرآة قبل يوم من عودتي الى هذا المكان ٠

اسمح لي فحسب ، أن أدخل فيك ثانية واكون خادمتك ! ٠٠ وستكون احكم من كل الحكماء ، وستكون الحكمة وفقاً عليك !٠

اسمح لي أن أدخل فيك ، ولن يكون احد اكثر حكمة منك !!

لكن صياد السمك الشاب ضحك وقال :ـ « الحب افضل من الحكمة !؛ والحورية الصغيرة تحبني ! » ٠

قالت الروح : « كلا ٠٠٠ ليس هناك شيء" افضل من الحكمة ! » ٠

اجاب الصياد :ـ « الحب افضل ! » ؛ وغاص الى الاعماق ٠

وهامت الروح تبكي فوق المستنقعات ! ٠٠٠

● ● ●

Twitter: @ketab_n

وحين مضت السنة الثانية ، جاءت الروح وهبطت الى ساحل البحر ونادت على صياد السمك الشاب ، فصعد اليها من الاعماق وقال : « لِمَ تنادين عليّ ؟ »

أجابت الروح : « اقترب حتى أحدثك ، فقد رأيت من الامور عجباً » .

وجاء الصياد يخوض في المياه الضحلة ووقف بقربها ، ثم استند برأسه على كفه ، وأصغى :

وقالت الروح له :ـ « حين تركتك وجهت وجهي الى الشمال ؛ من الشمال يأتي كل شيء ثمين ! ....

ستة أيام وأنا في سفر ؛ أقطع الطرق التي تؤدي الى مدينة عشتار .

عبر طرقٍ مغبرةٍ حمراء ، كانت رحلتي ! .

وفي صباح اليوم السابع ، رفعت بصري ...

Twitter: @ketab_n

ويا للعجب : عند قدمي ، في وادٍ ، رقدت المدينة التي كنت أروم الوصول اليها . وكانت هنـــاك تسعُ بوّاباتٍ تؤدي اليهـا ؛ وأمـام كل بوّابة وقف حصان من البرونز يصهل كلما هبط الاعراب قادمين من الجبال ؛ وغُلفت الحيطـان بنحـاس أحمر ، وبنحاسٍ أصفر سُقّفت أبراج الساعات .

وفي كل برج ، وقف أحد الرماة وقوسه في يـده ! ...

عند شروق الشمس يقـرع ذلك الـرامي بسهمٍ صحيفةً من النحاس ، وعند الغروب ينفخ في أحد الابواق .

وحين اردت الـدخول ، أوقفنـي الحراس وسـألوني من أكـون ، فأجبت اني درويشٌ في طريقه الى (مكة) التي فيها حجاب أخضر محفوظ

Twitter: @ketab_n

في داخله القرآن ، مطرز بأيدي الملائكة بحروف من الفضـة .

وحين سمع الحراس كلامي ملئوا دهشـة ، وسمحوا لي بالمرور .

في الداخل كان هناك سوق كبير ... كان يجب أن تكون معي !!

عبر الشوارع الضيقة ، كانت المصـابيح الورقية البهيجة ترفرف كالفراشات . وإذ تهب الريح فوق السقوف فأنها كانت ترتفع وتهوي ، كأنها الفقاعات الملونة .

وأمام دكاكينهم ، جلس التجار على بسـط من حرير ! . وكان لاولئك التجار لحى مستقيمة سوداء ؛ أما عمائمهم فقد غطيت بقطع نقـدية ذهبية ، ومسابح طويلة من الكهرمان والاحجار

Twitter: @ketab_n

الكريمة المنقوشة القرنفلية اللون تنساب خلال اصابعهم الهادئة !.

البعض من اولئك التجار كانوا يبيعون الصموغ والنادرين وعطورا غريبة من جزر بحر الهند ، وزيتاً غليظ القوام يُستخرج من أوراد حمراء ؛ والمرّ وثوماً له شكل الاظفر صغير الحجم .

وحين يقف احد ليتكلم الى اولئك التجار فانهم يرمون قليلاً من البخور على فحم مشتعل في مجمرة فيتعطر الهواء . ورايت رجلا كان يحمل في يده عصاً نحيفة تشتبه القصبة ، وكانت تخرج منها خيوط من الدخان رمادية اللون ؛ وإذ تشتعل كانت رائحتها كرائحة اللوز الورديّ في الربيع .

وكان تجار آخرون يبيعون أسورة فضية مزينة من جميع جهاتها بأحجار من الفيروز

Twitter: @ketab_n

الازرق المصفر ، وخلاخل من اسلاك النحاس تتدلى منها اللئاليء الصغيرة ؛ ومخالب نمورٍ مطلية بالذهب ، ومخالب قططٍ وفهودٍ مذهبة ، ويبيعون أقراطاً من زمرد مثقوب ، وخواتم من اليشب المجوّف .

ومن بيوت الشاي كان يتناهى صوت الجيتار ؛ وكان الجالسون بوجوههم المبتسمة البيضاء يتطلعون الى العابرين .

كان ينبغي أن تكون معي حقاً !.

هناك .. شاهدت باعة الشراب يشقون طريقهم خلال الزحام ، وعلى اكتافهم قرب" جلدية كبيرة سوداء ! . واكثر من لاقيت منهم كان يبيع شراباً حلواً كأنه العسل ؛ وهم يقدمونه في أكواب صغيرة من المعدن ، بعد أن ينثروا فوقه أوراق الزرد !.

Twitter: @ketab_n

ووقف في السوق باعة الفاكهة وهم يبيعون كل أصناف الفاكهة وأنواعها : التين اليانع ذا الثمار الارجوانية المجرّحة ؛ البطيخ وله رائحة المسك ، ولونه أصفر بلون حجر التوباز ! ؛ الأترج ، التفاح الوردي اللون ، وعناقيد من أبيض العنب ؛ البرتقال المستدير ذا اللون الذهبي المحمر ، والليمون البيضوي ذا اللون الذهبي المخضرّ .

ومرة رأيت فيلا يمر وقد صُبِغَ خرطومه بالكركم والزَنجُفر ؛ وفوق أذنيه أُلقيت شبكة من حبال قرمزية من الحرير .

وقف ذلك الفيل أمام دكان وشرع يأكل البرتقال ؛ وما فعل الرجل شيئاً سوى أن ضحك !!.

انك لا تستطيع أن تتخيل كم هم غرباء أولئك

Twitter: @ketab_n

الناس ؛ فاذ يكونون سعداء فانهم يذهبون الى باعة الطيور ويشترون منهم طيوراً ، ثم يطلقونها من اقفاصها ليزدادوا سعادة ومتعة ! . وحين يشعرون بالحزن فانهم يضربون انفسهم بالاشواك كي لا يذهب عنهم الحزن والأسى !! .

ذات مساء ، صادفت عبيدا يحملون هودجاً ثقيلا خلال السوق ، وكان مصنوعاً من الخيزران المذهب ! ، أما قوائمه فقد كانت من مسحوق الزنجفر مزينة بطواويس من أحمر النحاس ! ؛ وغطيت الكوى بستائر من الموسلين المطرز بأجنحة الفراشات ولئاليء غاية في الصغر .

واذ مرّوا بي ، تطلع من كوّةٍ وجه امراة شاحب شركسي الملامح وابتسم لي . فمشيت في إثرها ، وحز رآني العبيد عبسوا وبان الضيق على وجوههم وحثوا خطاهم مسرعين ؛ لكن ذلك

Twitter: @ketab_n

م يثنني عن متابعتهم ، وتملكني فضول عظيم .

وتبعتهم ـ فرايتهم يتوقفون أخيرا عند ساحة امام بيت ابيض ، خالٍ جميعه من النوافذ الا من باب صغير كأنه باب قبر !.

حطوا الهودج على الارض ، وبمطرقة من نحاس طرقوا على الباب ثلاث طرقات . وما فعلوا ذلك حتى أطل من كوّة ارمينيّ يرتدي قفطاناً من جلد أخضر .

وحين رآهم فتح الباب ، واسرع يفرش سجادة على الارض ! .

خرجت المراة من الهودج وخطت بضع خطوات . واذ كانت تلج الى البيت استدارت وابتسمت لي ... ولشدّ ما دهشت ، فلم أرَ وجهاً شاحباً كذاك الوجه الذي رايت !

حين ارتفع القمر في السماء عُدت الى المكان

Twitter: @ketab_n

نفسه باحثاً عن ذلك النبيت ، لكنه لم يكن هناك ! ... واذ رأيت ذلك عرفت لِمَ ابتسمت لي تلك المرأة ومن تكون ! .

كان ينبغي أن تكون معي ... لا بدّ ...

وانطلق الملك ، احتفالا بالشهر الجديد ، من قصره ، كان شعر رأسه ولحيته مخضباً بورق الورد ، وعلى خديه ذُرّ نثار الذهب الصافي ! .

عند الشروق ، انطلق الملك من قصره مرتدياً رداءً من فضة ، وعاد عند الغروب وهو يرتدي رداءً من ذهب !.

وحين رآه الناس رموا بأنفسهم على الارض وأخفوا وجوههم . لكني لم أكن لأصنع ما صنعوا ! ... بل وقفتُ قرب كشك بائع تمور وانتظرت . وحين رآني الامبراطور رفع حاجبيه المصبوغين دهشة ووقف مأخوذا . وظللت ساكناً

Twitter: @ketab_n

هادئاً لم انحنِ له او اسجد او اظهر خوفاً ·

وعجب الناس من جراتي واشاروا عليّ بالهرب من المدينة ، فلم القِ بالا اليهم ، بل ذهبت وجلست عند باعة اوثانٍ غريبة الاشكال ، وكانوا يُقابلون بسببٍ من مهنتهم بالكراهية والبغضاء · وحين اخبرتهم بما صنعت ، اعطاني كل واحد منهم وثناً ورجوني ان اتركهم ولا اعود للجلوس ·

وفي تلك الليلة ، واذ كنت اُريح راسي على وسادة في بيت الشاي في شارع يُقال له شارع الرمان ، دخل حرس الامبراطور ، وقادوني الى القصر ·

واذ كنت امرّ الى داخل القصر ، كان الحرس يغلقون الباب خلفي ويحكمون اغلاقه بسلسلة من حديد ·

في الداخل ، كانت هناك قاعة عظيمة ،

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

تحفها من كل جهة ِ الاعمدة والاقواس ، وكانت الجدران من مرمرٍ أبيض طُعِّم بالقرميد الازرق والاخضر ، أما الاعمدة فمن رخامٍ أخضر ، والارصفة من رخامٍ بلون زهرة الخرخ . لم أكن رايت في حياتي شيئاً يشبه ذلك من قبلُ قَطْ .

واذ كنت أمر عبر انقاعة ، تطلعت امرأتان مقنعتان من شرفةٍ وشتمنني ، وعجل الحراس من مشيهم ، ورنت على الارض الصقيلة خلفهم أعقاب الرماح .

واعترضتنا بوابة من عاجٍ ففتحوها ، فالفيت نفسي في حديقة مائية تُطل عليها شرفات سبع . زينت تلك الحديقة بكؤوس الخُزامى وزهور القمر وباقاتٍ فضية من الصبار ، وفي الفضاء المعتم تعلقت نافورة كأنها قصبة نحيفة من بلور ! ،

وتوهجت اشجار السرو كالشعل المضيئة ،

Twitter: @ketab_n

وراح من احداهن يصدح عندليب بأجمل الالحان ·

في آخر الحديقة ، قام فسطاط صغير ؛ حين دنونا منه هبّ اثنان من الخدم للقيانا · واذ كانا يمشيان ، كان جسداهما يهتزّان ويتمايلان ، ورمقاني بفضول بعيون صغيرة غليظة الاجفان · وانتحى احدهما برئيس الحرس جانباً ، وهمس في اذنه بشيء ، وظل الآخر يمضغ قرصاً من السكر زكيّ الرائحة ، وكان أخرجه من صندوق بيضوي مطلي بالليلك بتكلفٍ وخيلاء !·

بعد بضع دقائق ، أبعد رئيس الحرس الجنود فمضوا عائدين الى القصر ، وتبعهما الخادمان متباطئين ، وراحا يقطفان التوت الحلو من الاشجار · وما التفتا ، الاّ أكبرهما ، استدار مرة وابتسم لي ابتسامة ماكرة غامضة ·

ثم اشار رئيس الحرس نحو الفسطاط

Twitter: @ketab_n

فمشيت غير هيّاب ، ونحيت الستائر الثقيلة جانباً ، ودخلت .

في الداخل ، كان الامبراطور الشاب متمددا على فراش من جلد أسد مصبوغ ، وعلى معصمه جثم بازٌ كبير ، ووقف خلفه رجل من بلاد النوبة ذو بشرة بلون البرونز ؛ ويضع على راسه عمامة ، وكان عارياً حتى الخصر ، وتدلت من اذنيه المثقوبتين أقراط ثقال .

وعلى منضدة بجانب الفراش ، كان ثمّة سيف ثقيل معقوف من الفولاذ . وحين رآني الامبراطور عبس وقال : ـ« ما اسمك ؟ » ... أولا تعرف اني امبراطور هذه المدينة ؟ فلم اجبه ... فأشار باصبعه نحو السيف فخطفه النوبيّ واندفع به ، ثم طعنني بقوة عظيمة ، فازّ حدّ السيف خلالي ، لكنه لم يصبني باذى !! . فسقط الرجل على الارض ممدداً ، وحين نهض

Twitter: @ketab_n

كانت اسنانه تصطك من الرعب واخفى نفسه خلف الفراش ٠

وقفز الامبراطور وخطف من مشجب الاسلحة رمحاً ورماني به ؛ فامسكت به في الهواء وكسرت قناته الى قطعتين ! ٠٠٠ واعقبه بسهم فاعقته بيدي فوقف في منتصف المسافة بيننا ٠ ولما راى الامبراطور ذلك سحب من حزام جلدي أبيض خنجرا وطعن به النوبي في حنجرته ، خوفاً أن تشيع فضيحته بين الناس !

وسقط الرجل وهو يتلوى كحية مسحرقة ، وفار زبد أحمر من شفتيه ، ولم تمض لحظة حتى كان قد فارق الحياة ٠ وحالما مات ذلك الرجل ، التفت الامبراطور نحوي وهو يمسح جبينه من قطرات العرق المتلامعة بمنديل من حرير ارجواني اللون مزركش ، وقال لي :ـ

Twitter: @ketab_n

« أأنت نبي ؟ فلا أستطيع ان أصيبك بأذى ، أو ابن نبيّ فلا أقدر أن الحق بك شراً ؟! ؛ أتوسل اليك أن تغادر الليلة مدينتي فأني لن أعود سيدها طالما بقيت فيها » .

فأجبته : « سأذهب ، شرط أن تعطيني نصف ثروتك ؛ أعطني نصف ثروتك وسأذهب بعيداً عنك » . فأخذ بيدي وقادني الى الحديقة ؛ واندهش رئيس الحرس اذ رآني ؛ أما الخادمان فقد اصطكت ركبهما ووقعا على الارض من الخوف .

وقادني الامبراطور نحو قاعة في القصر لها ثمانية حيطان بُنيت من حجر بلون السُمّاق ، وسقوفٍ من صفائح النحاس تدلّت منها المصابيح .

مسّ الامبراطور أحد الحيطان بيده فانفتح ،

Twitter: @ketab_n

وسرنا في رواقٍ مضاءٍ بالمصابيح .... على جانبيه انتصبت في الكوى جرارٌ خمر ملأت حتى حافاتها بقطع من الفضة !. وما وصلنا الى منتصف الرواق حتى نطق الامبراطور بكلمة فاذا بابٍ من الصوان ينفتح فجأة في وجوهنا ؛ فوضع الامبراطور كفيه على عينيه لئلا يُخطف بصرُه !

انك لا تستطيع أن تتخيل كم كان عجيباً ذلك القصر !... فيه تدلّت أصداف السلاحف وقد ملأت باللؤلؤ ، وأحجار القمر المجوّفة مختلفة الاحجام وقد كدس فيها الياقوت الاحمر ! ؛ وكنز الذهب في علب من جلد الفيل ، أما نثاره ففي قوارير من جلد !.

كان هناك الاوبال والياقوت الازرق ؛ الاوبال في أكواب من بلور ، والياقوت في أكواب من الياشب ! .

Twitter: @ketab_n

وفوق صفائح من العاج رتب في صفوف من الزمرد الاخضر المستدير ! · وفي احدى الزوايا ، كانت هناك أكياس من الحرير ملأ بعضها بالبريل الاخضر والآخر ملأ بالفيروز ! ··· وكدس الجمشت الارجواني في قرون من العاج ، وملأت بالعقيق الابيض والاحمر أبواق من النحاس ، وكانت الاعمدة من خشب الارز ، تتدلى منها عقد من الجواهر صفراء · وفي تروس مسطحة بيضوية الاشكال ، وضع العقيق بلونين خمري وآخر بلون العشب ·

وللآن ··· لم اخبرك الا بعشر ما كان هناك !

أبعد الامبراطور كفيه من أمام وجهه وقال لي :

هو ذا بيت ثروتي ··· لك نصف الذي فيه ، تماماً كما وعدتك · وسأعطيك جِمالا وأصحابها ، وسيفعلون ما تأمرهم به ·

Twitter: @ketab_n

تأخذ حصتك من الثـروة الى أي مـكان من العالم ترغب في الذهاب اليـه ، وسـيكون ذلك الليلة ، لأني لا أريد للشمس الذي هو ابي أن يرى في مدينتي رجلا لا أستطيع أن اذبحه !! .

لكنني أجبته :ـ « هذا الـذهب لك ولك الفضة كذلك . ملك لك الجواهر الغالية ، وكـل شيء ثمين . أما أنا فلست بحاجة لتلك الاشياء . ولست بآخذ منك شيئاً الا ذلك الخاتم الصغير الذي في اصبع يدك !! » .

فعبس الامبراطور وصرخ : « انه ليس الا خاتماً من رصاص ، لا يساوي شيئاً ... خذ نصف ثروتي ، وارحل عن مدينتي » .

اجبت : « كلا ... لن آخذ شـيئاً الا ذلك الخاتم من الرصاص ! » . اذ اني أعرف ما كتب عليه ، ولأي غاية وغرض ! .

Twitter: @ketab_n

وارتجف الامبراطور واستعطفني وقال :ـ « خذ كل ثروتي وارحل عن مدينتي ... النصف الآخر من الثروة سيكون نصيبك أيضاً » .

● ● ●

وجئت أمراً غريباً ... لكن ليس مهماً ما فعلت ! ... ففي كهف لا يبعد سوى مسيرة يوم عن هذا المكان أخفيت خاتم الثروة ! ... انه لا يكلفك الا مسيرة يوم واحد من هذا المكان .. وهو بانتظار قدومك !! » .

« ان من يملك هذا الخاتم يكون أغنى من ملوك العالم جميعاً ... تعال اذن وخذه ، وستكون ثروة العالم من نصيبك ! » .

لكن صياد السمك ضحك وصاح : « الحب أفضل من الثروة ، والحورية الصغيرة تحبني ! » .

Twitter: @ketab_n

قالت الروح : « كلا ٠٠ ليس هناك افضل من الفنى » ٠

أجاب الصياد : « الحب افضل » ٠ وغاص الى الاعماق ٠٠٠

وهامت الروح تبكي فوق المستنقعات !! ٠

● ● ●

وحين مرّت السنة الثالثة ، جاءت الروح وهبطت الى ساحل البحر ، ونادت على صياد السمك الشاب ، فصعد اليها من الاعماق وقال لها :ـ

« لماذا تنادين عليّ ؟ » ٠

قالت الروح :ـ « اقترب حتى احدّثك ، فقد رأيت من الامور عجباً ! » ٠

فجاء يخوض في المياه الضحلة ، ووقف بالقرب منه ، واستند برأسه على كفه واصغى ٠

Twitter: @ketab_n

وقالت الروح له :ـ « أعرف مدينة فيهـا نزلٌ يقوم عند نهر ؛ جلست هنـاك مـع بحـارة يشربون نوعين من الخمور ، ويأكـلون خبـزاً من الشعير وسمكاً صغيرا مملحاً يقدمّ مع خـلٍ في أوراق .

وبينما كنا نجلس هناك نمرح ونتمازح ، اذا برجل عجوز يدخل علينا وهو يحمل سجادةً من جلدٍ وعوداً له قرنان من الكهرمان .

فرش الرجل السجادة على الارض ، وضرب بريشة على الاوتار ، فاذا ببنتٍ على وجهها حجاب ، تدخل مسرعة وراحت ترقص أمامنا .

وجهها كان مقنّعاً بحجاب من شاش .. لكن قدميها كانتا عاريتين ؛ وعلى السجادة تنقلتا كأنهما حمامتان صغيرتان بيضاوان .

لم أرَ في حياتي شيئاً عجيباً كذلك ... وتلك

Twitter: @ketab_n

المدينة التي رقصت فيها الفتاة لا تبعد الا مسيرة يوم واحد عن هذا المكان .

والآن .... حين سمع صياد السمك الشاب كلمات روحه ، تذكر انّ الحورية الصغيرة ليس لها اقدام ولا تستطيع الرقص ! ... وتملكته رغبة عظيمة في الذهاب ، وقال لنفسه : « انها ليست الا رحلة يوم واحد ، واعود بعدها الى حبيبتي ! » .

ووقف في الماء الضحل ضاحكاً ، ثم تقدم مسرعاً نحو الساحل . واذ وصل الى الساحل الجاف ، ضحك ثانية ، والى روحه مد ذراعيه !

فأطلقت روحه صرخة فرح عظيمة وركضت للقائه ، ودخلت فيه . ورأى صياد السمك أمامه امتداداً فوق الرمل ... وكان ذلك الامتداد ظلاً للجسد الذي هو جسد الروح .

وقالت الروح له :ـ « لا تدعنا نمكث هنا ،

Twitter: @ketab_n

بل نذهب بسرعة من هذا المكان . فآلهة البحر غيورة ولديها وحوش تطيع ما تأمر به » .
ولذلك اسرعا ...

سافرا طول تلك الليلة تحت القمر ...
وتحت الشمس رحلا طول اليوم .
وفي المساء وصلا الى المدينة .

وقال صياد السمك الشاب لروحه :ـ « أهذه هي المدينة التي فيها ترقص من حدثتني عنها » .

أجابت روحه :ـ « ليست هذه المدينة بل الاخرى ... ومع ذلك لندخلها ! وهكذا دخلا المدينة ، وسارا في شوارعها .

واذ كانا يسيران في شارع تجار المجوهرات ، رأى صياد السمك الشاب كأساً جميلا من الفضة ، معروضاً في أحد الاكشاك .

Twitter: @ketab_n

وقالت روحه له :ـ « خذ ذلك الكأس الفضيّ واخفـه » .

فاخذه واخفاه في طيات سترته ، وخرجا من المدينة مسرعين .

واذ قطعا فرسخاً خـارج المـدينة ، عبس صياد السمك الشاب ورمى بالكأس وقال لروحه :ـ « لم أمرتني أن آخذ هذا الكأس واخفيـه ؟ لأي غاية شريرة ؟ » .

لكن روحه أجابتـه :ـ « كن مطمئنـاً . كن مطمئناً » .

وفي مساء اليوم الثاني ، وصلا الى احـدى المدن ، وقال صياد السمك الشـاب لروحـه :ـ « أهذه هي المدينة التي فيها ترقص من حـدثتني عنهـا ؟ » .

أجابت روحه : « ليست هذه المدينة .. بل الاخرى ... ومع ذلك لندخل اليها » .

Twitter: @ketab_n

وهكذا دخلاها ·· وفي شوارعها راحا يسيران · واذ كانا يسيران في شارع باعة الاخفاف ؛ رأى صياد السمك الشاب طفلا بقرب جرةٍ من الماء ·

وقالت روحه له : « اضرب ذلك الطفل ضرباً مبرّحاً » ·

فضربه حتى أبكاه ، ثم خرجا من المدينة مُسرعَين ·

وبعد أن قطعا مسافة فرسخٍ خارج المدينة ، ازداد غضب صياد السمك وقال لروحه : « لم امرتني أن اضرب الطفل ؟ لأيّ غايةٍ شريرة؟ » ·

لكن روحه أجابته : « كن مطمئناً ·· كن مطمئناً » ·

وفي مساء اليوم الثالث ، وصلا الى مدينةٍ ، وقال صياد السمك الشاب لروحه :ـ

Twitter: @ketab_n

« أهذه هي المدينة التي فيهـا ترقص مـن حدّثتني عنها » ٠

أجابته روحه : « ربما تكون في هذه المدينة ، لذا دعنا ندخل اليها »

وهكذا دخلا المدينة ، وفي شوارعها راحـا يسيران ٠ وانى سار صياد السمك الشاب فأنه لم يستطع أن يجد النهر أو النزل الذي يقوم بجانبه ٠

وكان سكان المدينة يتطلعون اليه بفضول ، وازداد خوفه وقال لروحه : « لنرحل عن هـذا المكان ٠٠٠ لأن الراقصة ذات القدمين البيضاوين ليست هنا ! » ٠

لكن روحـه أجابتـه :ـ « كـلا ، بل نبقى وننتظر ؛ لأن الليل حالك الظـلام والصوص في الطريق ! » ٠

فجلس يرتاح في السوق ٠ وفي تلك الاثنـاء

Twitter: @ketab_n

مرّ من امامهما تاجر يرتدي رداءً تتارياً ، وعلى رأسه غطاءٌ يشبه القلنسوة ، وفي يده فانوس من قرنٍ مثقوبٍ في نهاية قصبة مربوطة .

فقال التاجر له : « لم تجلس في السوق ؟... ها انت ترى انّ الدكاكين قد أغلقت والبالات شدت بالحبال ! » .

أجاب صياد السمك الشاب :ـ « لا أجد نُزُلاً في المدينة ، وليس لي قريب يؤويني . » .

قال التاجر : « أولسنا جميعاً أقرباء ؟!.. أوليس من خلقنا إلهٌ واحد ؟!.. تعال معي اذن ، فلدي غرفة للضيوف » .

فقام صياد السمك الشاب وتبع التاجر الى بيته ... ومر الصياد بحديقةِ رمانٍ قبل ان يدخل الى البيت .

وأحضر التاجر له ماء وردٍ في صحن من

Twitter: @ketab_n

النحاس كي يغسل يديه ، وبطيخاً يانعاً كي يروي عطشه . ووضع امامه صحناً من الرز وقطعة من لحم جدي محمص .

وبعد أن انتهى من عشائه ، قاده التاجر الى غرفة الضيوف ، وعرض عليه بلطفٍ أن ينام ويستريح . وشكره صياد السمك الشاب ، وقبل خاتمه الذي في يده ورمى بنفسه على سجادة مصنوعة من شعر المعزى المصبوغ ، ثم غطى نفسه بغطاء أسود من صوف حملٍ وغرق في النوم .

وقبل أن يطلع الفجر بساعات ثلاث ، وان كان الظلام لمّا ينكشف ، أيقظته روحه وقالت له :ـ « انهض .. واذهب الى غرفة التاجر .. الى الغرفة التي ينام فيها التاجر واذبحه واستولِ على ذهبه ، فاننا في حاجة اليه .

ونهض صياد السمك الشاب ، وسار على

Twitter: @ketab_n

اطراف أصابعه الى الغرفة التي فيها التاجر ٠

فوق قدمي التاجر كان هناك سيف معقوف والى جانبه صينية فيها تسع حقائب من الذهب ٠

مد الصياد يده ولمس السيف ، وما فعل ذلك حتى أجفل التاجر واستيقظ من نومه وقفز وحاول أن يقبض على السيف ، وصاح بالصياد :
الطيبة بالقتل ؟! »

ـ « أهكذا تقابل الاحسان بالاساءة ؟ وتدفع وقالت الروح لصياد السمك الشاب :
« اضربه » ٠ فضربه حتى أغمي عليه ، وقبض على حقائب الذهب التسع ، وهرب مسرعاً خلال حديقة الرمان ٠٠ ووجه وجهه نحو النجمة التي هي نجمة الصباح ! ٠

وحين ابتعدا فرسخاً عن المدينة ، ضرب صياد السمك بيده على صدره وقال لروحه :

Twitter: @ketab_n

ـ « لم أمرتني أن أذبح التاجر وآخذ ذهبه ؟ .. انك لشريرة من غير شك » ..

لكن روحه أجابته :ـ « كن مطمئناً .. كن مطمئناً ! » .

صرخ صياد السمك :ـ « كلا .. لن أكون في سلام ، لأن كل ما عملته بسببك أكرهه .. وأنت كذلك أكرهك ! .. أخبريني : لم صنعت بي ما صنعت ؟ » .

أجابت روحه :ـ « انك تعرف .. انك تعرف جيداً ... أنسيت أنك لم تعطني قلباً ؟ ... ولكن .. كن مطمئناً ، فليس ثمة ألم لا تستطيع دفعه ولا سعادة لا تقدر أن تحوز عليها » .

وحين سمع صياد السمك الشاب هذه الكلمات ارتعد وقال لروحه :

ـ « كلا ، بل أنت شريرة .. لقد أنسيتني

Twitter: @ketab_n

حبيبتي وأغويتني بالمغريات ، ووضعت خطاي في طريق الخطايا » .

أجابته روحه :ـ « لا تنسَ انك قد ارسلتني في هذا العالم ولم تعطني قلباً ...

لنذهب الى مدينةٍ اخرى فنسعد ونمرح فلدينا من الذهب اكياس » .

لكن صياد السمك الشاب اخذ الاكياس التسعة من الذهب ورماها على الارض وراح يدوسها بقدميه .

وصاح :ـ « كلا ، بل لا ينبغي لي أن أشترك واياك في عمل واحد ولا أسافر واياك الى أي مكان . وكما طردتك من قبل سأطردك الآن . فانك لم تفعلي معي خيراً » .

ثم أدار ظهره للقمر ، وبالسكين الصغيرة ذات المقبض الجلدي الاخضر جاهد أن يقطع من

Twitter: @ketab_n

أصلِ قدميه ظل الجسد ، الذي هو جسد الروح ٠ لكن روحه لم تتحرك ، ولم تلق بالا لأمره ، بل قالت له :ـ « الرقية التي علمتك إياها الساحرة لن تفيدك بعد الآن ، لاني لست بتاركتك ، ولن تستطيع !! ٠

مرة في حياته ، ربما طرد الرجل روحه وأبعدها عنه ؛ لكن من يعيدها ينبغي أن يظل معها الى الابد !٠ هذه هي عقوبته ، وهذه هي مكافأته ؟! » ٠

وازداد شحوب الصياد ولوّح بقبضته وصاح :

ـ « لقد كانت ساحرة كاذبة اذ لم تخبرني بذاك ! » ٠

أجابت روحه :ـ « كلا ، بل كانت مخلصة لمن تعبد ! وخادمته ستبقى الى الابد ! » ٠

Twitter: @ketab_n

وحين أدرك الصياد انه لن يستطيع أن يتحرر من روحه وانها كانت روحاً شريرة وانه سيعيش دوماً معها ، سقط على الارض يبكي بحرقة ومرارة .

● ● ●

وكان نهار

نهض فيه صياد السمك الشاب وقال لروحه :

ـ « سأقيدّ يديّ فلا أفعل ما تأمرين ، وأطبق شفتيّ فلا أتحدث بما تتكلمين ، وأعود الى المكان الذي تعيش فيه من أحب ؛ الى البحر ذاته سأعود ، والى الخليج الصغير حيث اعتادت الغناء ، ولسوف أناديها وأخبرها بما صنعتُ من شرّ ، وما صنعتِ بي من شن شرّ ! » .

وحاولت روحه أن تغريه فقالت :

ـ « من هي حبيبتك تلك التي تنوي أن تعود اليها ؟ »

Twitter: @ketab_n

في العالم الكثيرات أجمل منها .. هنـــاك الفتيات الراقصات اللواتي يُجِدْنَ رقصـــات الطيور والوحوش ؛ أقدامهن مصبوغة بالحناء ، وفي ايديهن أجراس صغيرة من النحاس ، واذ يرقصن يضحكن كما يضحك ماء صاف !

تعال معي ، وسأريهن لك ! . ماذا يجديك قلقك من الخطيئة وامور كهذه ؟ او لم يُصنع للآكل ما هو لذيذ في الاكل ؟ اثمـة سـم" في الشـراب العذب ؟ .. لا تزعجن نفسك ، وتعـال معـي الى مدينة اخرى . هناك مدينة صغيرة ، على مقربة منها توجد حديقة لاشجار الخزامى ؛ وفي تلك الحديقة البهيجة تعيش طواويس بيضـاء واخـرى زرقـاء الصدور ؛ حين ينشرن ذيولهن أمام الشمس فكأنك ترى أقراصاً من عاج واخرى من الذهب ؛ والتي تطعمهن" ترقص من فرط سعادتها ؛ أحياناً ترقص

Twitter: @ketab_n

على قدميها واحياناً على يديها ؛ ملونتان عيناها بالأثمد ، وكجناحي سنونو فتحتا انفهما ؛ من كلاب من احداهما تدلت زهرة نقشت من اللؤلؤ ، واذ ترقص فانها تضحك وترن حول ناحلها حلقات من فضة كالاجراس . لا تقلق نفسك أكثر من ذلك وتعالي معي الى تلك المدينة » .

لكن صياد السمك الشاب لم يجب روحه بشيء بل بختم الصمت أطبق شفتيه ، وبحبل محكم قيد يديه ، والى المكان الذي جاء منه ارتحل عائدا ، الى ذات الخليج الصغير حيث اعتادت حبيبته الغناء .

● ● ●

وكلما حاولت روحه أن تغريه خلال الطريق ، فانه كان يجيبها بالصمت !! ولم يكن ليفعل شيئاً من الشر جاولت روحه أن تدفعه اليه ...

Twitter: @ketab_n

عظيمة كانت قوة حبه التي معه !

وحين وصل الى ساحل البحر ، أرخى الحبل عن يديه ، وعن شفتيه أزاح ختم الصمت ، ونادى على الحورية الصغيرة ، لكنها لم تجب نداءه بالرغم من انه ظلّ ينادي عليها ويستعطفها طوال اليوم .

وسخرت روحه منه وقالت :ـ « لقد منحك حبك القليل من السعادة ، وها أنت كالذي في وقت الموت يصب ماء في اناء مكسور ! ، لقد خسرت من كانت لك ، ولن يعود شيء اعطي اليك !؛ فخير لك أن تأتي معي فاني اعرف اين يرقد وادي السعادة ، وايـة اشياء صُنعت هناك ! » .

لكن صياد السمك الشاب لم يُجب روحه الى ما أرادت ؛ وبدلا من ذلك بنى في شقٍ في جبل بيتاً له من الاغصان المجدولة ، واقام فيه مدة عام .

Twitter: @ketab_n

وكان في كل صباح ينادي على الحورية وعند الظهر ، وفي الليل كان اسمها لا يفارق شفتيه !...

لكنها لم تصعد من البحر للقائه قطّ ، ولا استطاع أن يجدها في أي مكان منه .

بحث عنها في الكهوف وفي المياه الخضراء .
بحث عنها في البرك التي يخلفها المدّ وراءه
وبحث في الآبار العميقة الغور .

ومهما حاولت روحه أن تزين لـه الشرور وتوسوس له وتهمس بكل ما هو فظيع ، ما كانت لتستطيع أن تتغلب عليه .

عظيمة كانت قوة حبه التي معه !

واذ مر العام وانقضى ، فكرت الروح :

ـ « لقد أغويت سيدي بالشر ، لكن حبـه كان أقوى مني ؛ لأغوينه بالخير ، فربما جاء معي ! » .

Twitter: @ketab_n

وهكذا تحدثت الى الصياد قائلة :ـ « قد كنت أخبرتك عن متعة العالم فأعرتني أذناً صمّاء . دعني الآن أحدثك عن ألم العالم ، فربما سمعتني !»

سيد العالم هو الالم ؛ فلا يفلت من شبكته أحد !

هناك العُراة ، وهناك من يحلمون بالخبز !

هناك الارامل في ثياب من ارجوان ، وأرامل في الاسمال .

جيئةً وذهاباً ، يروح فوق المستنقعات المصابون بالجذام ، وهم على بعضهم البعض قُساة . والمتسولون مصعدين في الطرقات البعيدة هابطين ...

خلال الشوارع تسير المجاعة ، والطاعون يجلس عند البوّابات !.

تعال ... وانطلقْ معي نصلح من تلك

Twitter: @ketab_n

الامور ، ونمحوها من الوجود ! .

لِمَ تبقى هنا منادياً على حبيبتك ، وانت تراها لا تجيب ؟!

وما الحبّ ؟ حتى توليه هذا الاهتمام ! .

لكن صياد السمك الشاب أجابها بالصمت !

عظيمة عظيمة كانت قوة حبه التي معه !!

في كل صباح ، كان ينادي على الحورية وعند الظهر ، وفي الليل كان اسمها لا يفارق شفتيه !

لكنها لم تصعد من البحر للقائه ، وما استطاع ان يعثر عليها في أيّ مكان من البحر ، ولا في الوديان التي تحت الامواج !

لم يجدها في البحر الذي يصيره الليل بنفسجي اللون

لم يجدها في البحر الذي يتركه الفجر رمادياً شاحباً !

Twitter: @ketab_n

في احدى الليالي من السنة الثانية ، واذ كان صياد السمك جالساً لوحده في بيته المجدول من الاغصان ، اذا بالروح تقول له : « انظر ... لقد اغويتك بالشر ، واغريتك بالخير فكان حبك اقوى ، فلن اغوينك بعد اليوم .

لكنني اتوسل اليك ان تسمح لي ان ادخل قلبك واكون واياك واحدا كما كنا من قبل » .

قال صياد السمك الشاب :ـ « إنكِ لن تدخلي ابداً ! وستقاسين كثيرا كثيرا » .

صاحت روحه :ـ « واحسرتاه .. لا استطيع ان اجد مكاناً للدخول فقلبك مطوق بالحب من جميع الجهات !! » .

قال صياد السمك الشاب :ـ « بودي لو ساعدتك ! » .

وما إن نطق بذلك حتى انطلقت صرخة نواحٍ

Twitter: @ketab_n

من البحر كالصرخة التي يسمعها الرجل حين يموت احد سكان البحر !

فهبَّ صياد السمك الشاب واقفاً وغادر بيته المجدول من الاغصان راكضاً الى ساحل البحر .

وجاءت الامواج السود الى الساحل مسرعة وعلى ظهرها حمل انصع من الفضة بياضاً .

بيضاء كانت كالزبد
كزهرةٍ
تتقاذفها الامواج
من الامواج
تلقّاها الزبد
ومن الزبد تلقتها الامواج التي
عند الشاطيء تموت !
ومن تلك تلقّاها ساحل البحر

Twitter: @ketab_n

عند قدميه

رأى صياد السمك الشاب جسد الحورية
جسد الحورية الصغيرة ميتة عند قدميه!

كرجل ضُرب ضرباً مبرّحاً ، رمى بنفسه على الارض بجانبها باكياً ، وشفتاه قبّلتا حمرة فمها الباردة ، وراحت أصابعه تعبث بكهرمان شعرها المبلل .

على الرمل ، انطرح بجانبها باكياً ، وجسده يختضّ كمن يرتجف متعة وفرحاً !!

على ذراعيه اللذين لوّحتهما الشمس الى صدره حملها

باردة كانت الشفاه
وبرغم ذلك قبّلهما
مالحاً كان عسل الشعر
وبرغم ذلك تذوقه بمتعةٍ مريرة !

Twitter: @ketab_n

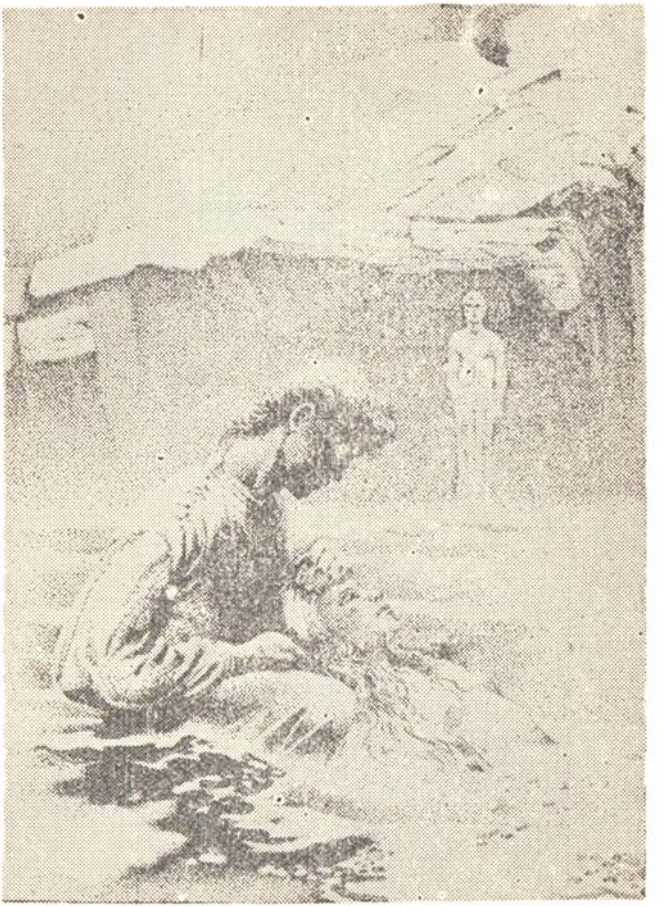

Twitter: @ketab_n

قبّل الصياد جفنيها المغمضين ؛ وأقلّ ملوحة من دموعه استلقى الرذاذ القاسي فوق كأسيهما !

للاشياء الميتة أسرّ باعترافه ؛ في أذنيها صبّ خمرة حكايته القاسية ؛ حول رقبته وضع يديها الصغيرتين ، وبأصابعه لمس جيدها !

مريرة مريرة كانت سعادته
ومليئاً بمسرّةٍ غريبة كان المَلَه

ودنا البحر الاسود المتجهم واقتربْ
وكمجذوم ، ناح الزبدُ الابيض وأعولْ
بمخالب بيضٍ من زبدٍ
استلقى البحر على الساحل

ومن قصر ملك البحر ، انطلق النواح ثانية .
وبعيدا ... فوق البحر ، نفخت الفرانيق الكبيرة في أبواقها بصوت أجشٍ مبحوح !

● ● ●

Twitter: @ketab_n

قالت روحه :ـ « اهرب بعيدا ، فمهما عملت فان البحر يقترب . فان تم تبرح مكانك قتلك . اهرب بعيدا ، فاني خائفة أن ارى قلبك يغلق في وجهي بسبب من عظيم حبك .

اهرب بعيدا الى مكان آمن . انك لست بمُرسلي الى عالم آخر من غير قلب ؟ !! » .

لكن صياد السمك الشاب لم يصغِ الى روحه ، وظل يدعو الحورية الصغيرة وينادي :ـ « الحب أفضل من الحكمة ، واثمن من الغنى ، واجمل من أقدام الراقصات .

لا النار تتلفه ولا الماء يرويه
لطالما ناديتُك في الفجر ، فلم تجيبي دعوتي !
أسمعت القمر اسمك ولكنك ما ألقيت بالا اليَ
لشرّ تركتُك .. ولألمي هِمتُ بعيداً

ولكن

Twitter: @ketab_n

سيعيش للأبد حبك معي ، وللابد يظل قوياً .

وعلى الرغم من أني خبرت الشر وخبرت الخير ، فلا شيء يستطيع أن يتغلب عليه .

والآن ، واذ أنت ميتة ، فأني ميت معك .. لا محالة ! ..

● ● ●

وتوسلت اليه روحه أن يرحل .. لكنه لم يكن ليفعل ذلك ، فقد كان حبه عظيماً عظيماً .

واقترب البحر .. وأوشك أن يغطيه بأمواجه ، وحين أدرك أن النهاية قد اقتربت ، قبّل بشفتين جُنتا شفتيها الباردتين ! .

وبسببٍ من عظيم حبّه ، انفطر قلبه الذي كان معه وانكسر ، فوجدت الروح لها مدخلا

Twitter: @ketab_n

ودخلت فيه ؛ وعادت وإياه شيئاً واحداً كما كانا من قبل .

بأمواجه ... غطى البحر صياد السمك الشاب !

في الصباح

انطلق الكاهن ليبارك البحر الذي كان قلقاً هائجاً ، وانطلق معه الرهبان والعازفون وحاملو الشموع والمباخر ، وانطلق معهم جمعٌ من الناس عظيم .

وحين وصل الكاهن الى ساحل البحر ، راى صياد السمك الشاب غارقاً في الزبد ، وقد طوّق جسد الحورية الصغيرة بيديه .

فتراجع الى الخلف عابساً ورسم على صدره علامة الصليب وصاح بأعلى صوته :ـ « لن أبارك

Twitter: @ketab_n

البحر ولا أيّ شيء فيه ... ملعونون سكان البحر ومن معهم يتعاملون .

أما هذا الذي رقد هنا بجانب خليلته مقتولا بقضاء الله ، فخذوا جسده وجسد معشوقته وادفناهما في زاوية في حقل فلر . ولا تضعوا علامة فوق قبريهما ... أية علامة ! حتى لا يعرف أحد المكان الذي فيه يرقدان .

انهما في حياتهما ملعونان .. وفي موتهما ملعونين سيكونان !

وفعل الناس ما أمرهم به .

وفي زاوية من حقل فلر ، حيث لا عشب جذاب هناك .. حفروا حفرة عميقة ووضعوا فيها الجسدين الميتين ! .

● ● ●

وفي أحد أيام العيد ، حين مضت السنة

Twitter: @ketab_n

الثالثة ، ارتدى الكاهن مسوحه وذهب الى كنيسة صغيرة ليتحدث الى الناس ·

واذ دخل وانحنى امام المذبح ، لفتت نظره ازهار غريبة لم ير في حياته مثلها من قبل ·

وكانت تلك الازهار غريبة وجميلة جمالا فريدا · واقلقه جمال تلك الازهار وافعمت انفه روائحها العذبة فشعر بفرح لم يعرف له سبباً !

وبعد ان فتح باب الخيمة ، واحرق البخور في وعاء القربان الذي كان فيها ، وأظهر للناس رقاق الخبز الجميلة · ثم اخفاها مرة اخرى خلف الحجب ، بدأ يتحدث للناس ·

لكن جمال الازهار البيضاء شوش افكاره واقلقه ، وروائحها العذبة افعمته فتصاعدت الى شفتيه كلمات اخرى ·· تحدث عن

Twitter: @ketab_n

« الحب » !! ... وما عرف هو نفسه لم تحدث بذاك !

وحين انتهى من كلامه بكى الناس ؛ وعاد الكاهن الى الموهن وعيناه ممتلئتان بالدموع . ودخل الشمامسة ونزعوا عنه مسوحه ، وجردوه من ردائه الابيض الطويل ومن حزامه ومن ثياب القداس ومن البطرشيل .

فوقف كمن هو في حلم ، يتطلع اليهم وقال :

ـ « ما تلك الازهار فوق المذبح ؟ ومن أين جاءت ؟ »

أجابوه :ـ « لا نستطيع أن نخبرك ما تلك الازهار ، لكنهن قطفن من زاوية في حقل فالمر . وارتجف الكاهن ورجع الى بيته وصلى .

وفي الصباح واذ كان الوقت لا يزال فجراً ، انطلق مع الرهبان والموسيقيين وحاملي الشموع

Twitter: @ketab_n

والمباخر وجمع من الناس عظيم ، وهبطوا الى ساحل البحر · وبارك الكاهن البحر وكل الاشياء التي فيه · بارك كذلك إله الحقول وكل الاشياء الصغيرة التي ترقص في الغابات والعيون اللامعة التي تتلصص خلال الاوراق · بارك كل الاشياء في عالم الاله ··· ودهش الناس وعجبوا ·

Twitter: @ketab_n

على الرغم من ذلك

لم تعد تنمو ازهار" من اي نوع في تلك الزاوية من حقل فلار . وظل الحقل مجدباً كما كان من قبل . ولم يعد سكان البحر يفدون على الخليج مثلما اعتادوا .

فقد رحلوا الى مكان آخر من البحر !

انتهت

Twitter: @ketab_n

العنوان الاصلي :

صياد السمك الشاب وروحه

Twitter: @ketab_n

رقم الايداع ٢١٥ في المكتبة الوطنية ببغداد
لسنة ١٩٨٤

مطبعة بغداد ـ شارع المتنبي

Twitter: @ketab_n